



تراتيل ثورة نساء

المسرحية الحاصلة على أفضل نص مسرحي عربي

إياد الريموني



تراتيل ثورة نساء

المسرحية الحاصلة على أفضل نص مسرحي عربي

إياد الريموني

خمس سلاسل للنشر، متطورة وعصرية، تطلقها وزارة الثقافة الأردنية، تسد النقص في المكتبة المحلية والعربية، منشورات مهمة في حقول معرفية مختلفة، فجاءت سلسلة فكر ومعرفة التي تسعى إلى خلق الوعي والإدراك وتنمية التفكير وفهم الحقائق وسياقات التاريخ والحياة، وتفسير النتائج والتجربة الإنسانية، وخلق التأمل الفلسفي ضمن أليات المنطق والتحليل العلمي. وسلسلة الفلسفة للشباب بهدف تشجيع الأجيال الجديدة للإفادة من مناهج الفلسفة في فهم العالم المعاصر، وتوعية الرأي العام بأهمية الفلسفة، واستخدامها نقدياً لمعالجة طروحات العولمة وعصر الحداثة. وسلسلة الكتاب الأول التي تُعنى بنشر الكتاب الأول للمؤلفين؛ كباكورة لأعمالهم المستقبلية، مع مراعاة الإبداعية والشروط الكتابية الناضجة. وسلسلة سرد وشعر التي تُعنى بالكتابات الشعرية والسردية المهمة، المغايرة والمختلفة في الطرح والشكل، ذات الجودة والمكانة في تحقيق إضافة نوعية للمكتبة المحلية والعربية. وسلسلة شغف، تختص بالمخطوطات الموجهة للطفل، شعراً ونثراً، تراعي حاجات الطفل الفكرية والنفسية والوجدانية، وتحقق شروطها الفنية والجمالية والإبداعية.

لوحة الفنانة اللبنانية فريال فياض



هذا الكتاب متوفر على منصة الكتبا الإلكترونية
<https://alkutba.gov.jo>

هاتف: +962 5691640 فاكس: +962 5691640 ص.ب 6140 عمان - الأردن
 E-mail: info@culture.gov.jo website: www.culture.gov.jo

تراويل ثورة نساء

المسرحية الحاصلة على أفضل نص مسرحي عربي

• ترايتيل ثورة نساء (المسرحية الحاصلة على أفضل نص مسرحي عربي).
• مسرحية

• المؤلف: إياد هاني سليمان

• الناشر: وزارة الثقافة

عمان - الأردن

شارع وصفي التل

ص . ب 6140 - عمّان

تلفون : 5699054/5696218

فاكس : 5696598

بريد إلكتروني: info@culture.gov.jo

رقم الإيداع لدى دائرة
المكتبة الوطنية
٢٠٢١/٨/٤١٥٢

٨١٢, ٩

سليمان، إياد هاني

ترايتيل ثورة نساء/ إياد هاني سليمان. - عمان وزارة الثقافة، ٢٠٢١.

(٨٤) ص

ر.أ. ٢٠٢١/٨/٤١٥٢

الواصفات: / المسرحيات العربية // الأدب العربي // العصر الحديث/

❖ يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى

• الإخراج الضني: نسرين العجو.

رقم الردمك (2 - 669 - 94 - 9957 - 978)

• جميع الحقوق محفوظة للناشر: لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

• All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without the prior written permission of the publisher.

مسرح

إياد الريموني

تراتيل ثورة نساء

المسرحية الحاصلة
على أفضل نص مسرحي عربي

2021

تراتيل ثورة نساء (مسرحية)

- أُخرجت هذه المسرحية لأول مرة من قبل الفنانة المسرحية ميس الزعبي، وعرضت في عدة مهرجانات دولية منها مهرجان الحر الدولي للمسرح، ومهرجان القاهرة الدولي للمسرح الجامعي، ومهرجان صيف الزرقاء للمسرح الدولي، ومهرجان شرم الشيخ الدولي للمسرح الشبابي، ومهرجان طقوس الدولي للمسرح.
- مثل في هذه المسرحية لأول مرة تُعرض فيها كل من: الفنانة ميس الزعبي، الفنان عمر أبو غزالة، الفنانة مثنى الزبيدي، الفنانة شفاء الجراح، الفنانة ماريّا خوري. أُلّف موسيقاها الموسيقار المسرحي عبد الرزاق مطرية، وصمم الإضاءة الفنان مكرم الكفاوين.
- حصلت المسرحية على جائزة ذهبية كأفضل عمل متكامل في مهرجان الحر الدولي للمسرح.
- حصلت المسرحية على جائزة ذهبية السينوغرافيا في مهرجان الحر الدولي للمسرح.
- حصلت المسرحية على شهادة التقدير في التمثيل.

- ترشّحت المسرحيّة للقائمة القصيرة في جائزة د. أحمد سخسوخ الدوليّة للتأليف المسرحي.
- حصلت المسرحيّة على جائزة أفضل نص مسرحي عربي في مهرجان صيف الزرقاء المسرحي العربي التاسع عشر 2021.
- حصلت المسرحيّة على جائزة أفضل ديكور في مهرجان صيف الزرقاء المسرحي العربي التاسع عشر 2021.

الهشمد الأول

(حجرة بها أرجوحتان، كاميرات تصوير تنشر أعلى وجوانب المسرح،
بائعة الهوى تجلس على أرجوحة بيدها مروحة نسائية، ضابط يقوم
بالدوران حولها).

بائعة الهوى : طفولتي المريرة علمتني كيف أكون دائماً على أهبة
الاستعداد.

الضابط : أربع أخوات عشن في وحدة مظلمة، المسجل عندي
أنك أكبرهن.

بائعة الهوى : بل أكثرهن عطفاً وطيبة، هنّ الجنّة التي حلمتُ بها في
دنياي، وكان خامسنا ذكراً رضيعاً لعبتُ عليه دور
الأمومة.

الضابط : وكيف تستطيع من تمتلك كل هذه الطيبة، أن تُقدم على
إفساد شباب مجتمعتها؟

بائعة الهوى : التحيّات لمن عشق الحياة... المجتمع سيدي من دفع
بنا، نحن فتيات لا حول لنا ولا قوة، إلى الخوض في

غمار الفساد، نحوم في الليل عارضاتٍ للأجساد،
نرتجي ما يسدّ رمق الحناجر.

الضابط : تتحدثين بجرأة متناهية... جحيم الدنيا من دفعكِ
للبداية، أم أن المهنة لك هي هواية؟

بائعة الهوى : بل من حياة التشرّد كانت البداية، كنّا أطفالاً لا نُلقِي
للدنيا بالاً، نلعب في كنف والدينا، نرتوي من بئر
حنانها، نلاحق بعضنا في كلّ أرجاء البيت المغمور
بالحب، إلى أن جاءت حقبة أيام القدر المشؤومة.

الضابط : توذّين أن تقولي: إن قصتكِ كما الأفلام والمسلسلات!
(يجلس على الأرجوحة المقابلة).

بائعة الهوى : (تحملق في إحدى الكاميرات الجانبية) في الشاشة
الصغيرة الحقيقة مزيفة، وإن كانت تعكس واقعاً
مريراً، الممثلُ في القصة المأساوية يحاول أن يتعايش
مع الدور لا أن يعيشه، إلا إن كان قد مرَّ بالتجربة
نفسها التي يجسّد شخصيتها، نكون وقتها أمام
إنسانٍ يبوح للمتلقّي بما عاناه من حُطام.

الضابط : وهل حياة الحطام التي قد يعانيتها المرء مبررٌ له لأن
يرتكب الخطايا؟

بائعة الهوى : الخطيئة خطيئة ولا مبرر لها، إنَّها على مَنْ يلعننا أن يبحث في الأسباب.

الضابط : ما لدي من معلومات تؤكد أن والديك كانا طرفاً في المساهمة.

بائعة الهوى : التحيات لمن عشق الحياة... هي الشرارة الأولى للخطيئة، فبعد علاقة الحب والوئام، نشبت بينها نار الفتنة؛ التي أوقدتها جارتنا، عاشقة والدي، فأصبحت أيامنا يُرثى لها، والجفاء ساد بين أوتاد الدار، إلى أن أغلقت جميع نوافذ الصلح، وانتهى الأمر بالطلاق.

الضابط : أما كان فيهما العاقل الذي يُنجد فلذات الأكباد؟ أيعقل أن يستسلم رب أسرة لكيد النساء؟ هذا لا يكون إلا لمن أصاب عقله أشد ما عُرف من داء.

بائعة الهوى : إن أسلم المرء نفسه لشهواته، أصبح أسيراً لها، يعيش في كنفها حياة الجرذان في القذارة، قلبه لا ينبض إلا بهواء رائحة القمامة.

الضابط : ما الذي حدث لكم في تلك الأيام، حتى أصبحت تتحدثين بهذه الجرأة؟

بائعة الهوى : تفارق أبي وأمي، وبدأت المشاحنات عن بعد،
وكوسيلة لإغاظة أبي، هرعت أمي بالشرع في
علاقة حب، كانت هي الأمثل بالنسبة لها، وسرعان
ما تزوجت، كان هذا بمثابة الضربة القاضية لأبي.

الضابط : وهل تنسى الأنثى عشرة عمرٍ بهذه السهولة؟ ألم تُشفق
لحالكم، أنتم أبناؤها؟

بائعة الهوى : عندما تشعر المرأة أنها رهينة في قفص إذلال، رخيصة
لدى من وهبته قلبها، لا شأن لها في عواطفه،
واجباتها فقط غمر الأولاد بالحب والحنان، ستلجأ
في لحظة بكاء منها إلى الثورة على الأحكام الجائرة
التي يُصدرها عليها الرجل.

الضابط : ووالدك كيف تقبل هذا الحال؟ فشعور الرجل
لا يوصف عندما يشعر أن من كانت تسكن إليه،
أصبحت متربعةً على كرسي عرش غيره.

بائعة الهوى : تزوج بجارتنا بعد شهرٍ من زواج أمي، لطالما كنتُ
أشاهدهما عند سلّم الدرج يلتقيان، صوت ضحكاتهما
الرييقة شغفت قلب أبي بجنون، ربما أفقدته عقله.

الضابط : ودون شك كانت هذه بداية المأساة... صراع زوجة الأب بأولاد زوجها، مسألة أزلية لا نجاة منها إلا بتهذيب العقول، ربما القادم حمل عطفاً لضحايا قصص كهذه.

بائعة الهوى : أمل ذلك... في البداية كانت تعاملنا بعطفٍ شديد أمام مرأى أبي، وما أن تجاوزنا الشهور الثلاثة الأولى، حتى بدأت المرأة لا تحتمل وجودنا، تخلق المشاجرات معي ومع إخوتي، وسرعان ما لجأت بمصيدتها الأنثوية إلى إقناع والدي بتمردنا عليها، وقذفها بشتى الشتائم.

الضابط : ما جوابك إن اعتقدنا أن ذلك قد حدث فعلاً؟ وأنك وإخوتك قد قمتم بالثورة على زوجة أبيكم بأمر من أمكم، رغبةً منها بالانتقام من أبيك الخائن لها وفق رؤيتها... طرحته عليك لنمثل الرأي الآخر.

بائعة الهوى : قد أتقبل هذا السؤال إن كان هناك أي تواصل مع والديتنا... لكننا لم نرها منذ زواجها... أصبحنا كالفراخ التي يهاجمها ثعبان ولا تستطيع التحليق.

الضابط : أتفهم ذلك سيدتي... لكن ما هو رأي أبيك في معضلة كهذه؟

بائعة الهوى : هناك نوع من الرجال لا رأفة في قلبه إلا للزوجة...
هي المصدّقة الوحيدة لديه، إن عرضت أمامه دلائل
الكون على كذبها فستبوء محاولتك بالفشل، إنك
لن تجد منه أيّ ترحيب بك؛ هذا لأنّ زوجته تملك
ما يُرضي رغبته الحيوانيّة، التي تعدّت كونها رغبة
إنسانيّة، لها الكثير من الفوائد المرجوّة.

الضابط : وهو من يعقّ والديه لأجلها، يقطع ما وجد له من
أرحام في سبيلها، هو كشجرة الغرقد بأغصانها
القبیحة المتناثرة يُظلمها، هل هذا ما تودين قوله عن
الرجل، الذي عشتم بسبب عبوديته لنزواته أياماً
قدّرت لكم بالجحيم؟

بائعة الهوى : أجل هو كذلك... عشنا بسبب رداءة تفكيره مرارة
الحياة، فبعد أن بلغت أيام الخصام بيننا وبين زوجته
ذروتها، أشارت عليه ذات ليلة استبدلت فيها
جلدها، بجلد مزاجه طغيان الأنوثة، أن يعزلني
وإخوتي في بيتٍ وحدنا، يزورنا فيه بين الوقت
والآخر، يؤمّن لنا ما نحتاجه من طعام وشراب.

الضابط : أيتركُ المرء فلذات كبده هكذا؟! أي قلب هذا الذي

يملكه أبوك؟! صغارًا كنتم لا حول لكم ولا قوة،

كيف استطعتم العيش وحدكم؟

بائعة الهوى : كنتُ أنا الأم والأب في آنٍ واحد، أطمعُ من يأكل

من إخوتي، وأرضع الرضيع الذي حُرِم حليب أمي،

صناعيًا كان ما أسقيه. وبعد مرور شهرٍ على عزلنا لم

نعد نرى وجه أبي، تركنا هو الآخر دون عودة، فبقينا

إخوة بين أحضان جدران لا تسمع ولا ترى، ومن

هنا، بدأت رحلة طريق الشوك.

الضابط : حسب التقرير كان عمرك آنذاك أربعة عشر عامًا...

أليس هذا مُرهقًا لفتاة صغيرة في مرحلة المراهقة؟

بائعة الهوى : لم يكن بوسعي فعل غير ذلك، فصاحب البيت بدأ

بطلب الإيجار، ووالدي كان متنكرًا لذلك، وأفواه

إخوتي الصغار لا تدرك معنى الفقر، نزلتُ الشارع

وبدأتُ بالبحث عن عمل، كانت رحلة صعبة لا

رفيق فيها أتكى عليه عند الوقوع.

الضابط : قمتِ بالعمل في مختلف المهن، منها ما يرضيها المرء

لابنته، ومنها ما هو مرفوض لدى شرائح كثيرة في

المجتمع، أرجو ألا يكون في سؤالي لك عن هذه

المرحلة أيّ حرج.

بائعة الهوى : أبوح لكم بكل ما تحويه نفسي طوعاً، لتكون قصتي
عبرةً لأولئك الآباء الذين لا يراؤون بأبنائهم. بدأت
العمل في أحد المحال الخاصة بتجميل السيدات،
ربة العمل كانت في الأربعين من عمرها، صاحبة
سمعة مشبوهة، علمتُ بذلك بعد عدة شهور،
الأمر لا يعنيني بشيء، فكل ما أطلبه في ذلك العمل
هو الرزق فقط ولا شيء سواه.

الضابط : بعمرِك أنت كيف تستطيع الفتاة أن تحكم على سلوك
الآخرين؟

بائعة الهوى : من خلال رؤيتي سيدي... كنتُ أسترق السمع لحديث
النسوة معها، كان من النوع القبيح. علمتُ آنذاك أن
المرأة تجلب الرجال لبائعات الهوى المرتادات عليها،
كان شيئاً مقززاً بالنسبة لي، إلا أن الأمر لا يعنيني كما
قلتُ لك.

الضابط : وكيف بدأت بجرِّك نحو هذا الطريق؟ أم أنها
أشفقت على طفولتك البريئة! قرأت في السابق
أن أكثر البشر ضراوة وبطشاً، يملكون في أعماقهم
الرحمة.

بائعة الهوى : ربما كانت تنظر لي بعين العطف، إلا أن هذا لم يمنعها من أن تعرض عليّ العمل في حانة يرتادها السكارى، أخبرتني حينها أن كل ما سأقوم به، هو ملاطفة الزبائن لا أكثر، أجلب لهم الكؤوس بوجهٍ مبتسم ملامحهُ الأمل.

الضابط : (بانفعال) وبدأتِ العمل دون أي ممانعةٍ تُرجى؟ أما تستحين!

بائعة الهوى : سبل بكاء إخوتي أركبني قاربه نحو ذلك العمل... أخبرتني أن أجري فيه سيكون مرتفعاً، صدقت تلك المرأة في قولها، فقد أصبحت أجني الكثير من المال عندما تشتدُّ ملاطفتي للزبائن، فعلتُ ذلك لأن الدنيا لم ترحمني وإخوتي.

الضابط : وهل اكتفيتِ بالملاطفة أم أن السيل أصبح بحيرة للوحل؟

بائعة الهوى : بل بركة ظاهرها يابس... في إحدى الليالي المقبّية جاء رجلٌ في الخمسين من عمره، من سماته الأناقة والوسامة، كان واضحاً أنه يُراقبني، فكلما التقينا بالبصر قذفني بابتسامته الماكرة، شرب ليلتها حدّ الثمالة.

الضابط : هل شاركتِه الشرب أيضًا؟ فالذي أعلمه أن أغلب
عاملات الحانات هنّ تجارب في مذاق الخمر،
وبعضهن يخضن تجارب العشق المؤقت، فكيف كان
حالكِ، وأنتِ لربما أصغرهن؟

بائعة الهوى : في غضون شهرٍ قليلة كنتُ أشرب الخمر كالماء،
وهذا ما ساعد الرجل في تلك الليلة، جئتُ لطاولته
ملاطفةً، ففاجئني بطلب هو الأول من نوعه آنذاك!
أخبرني أنه يُريدني أن أرقص له في بيته الخاص وأن
نتسامر سوياً.

الضابط : (غاضبًا) ألا يوجد نظام في تلك الحانة تمنع هكذا
تصرفات؟ كيف يتجرأ ذلك الرجل على فعل ذلك
في بلدٍ يسوده القانون؟

بائعة الهوى : القانون! لوائح وأنظمة وتعليمات لا تجد طريقها إلا
في الكتب.. أو كأوراقٍ علّقت على الجدران، ومن
أمن القصاص بطش بالخلق.. ولو أشربته القانون
شربًا.

الضابط : القانون وجد ليحفظ حق البشر، ليقف سدًا منيعًا
أمام امتهان كرامة الإنسان، وجد لينصر الضعيف

من الأطفال والنساء، والرجال والطاعنين في السن،
القانون يا سيدتي سيف العدالة على رقاب الظالمين.
بائعة الهوى : وأين سيف العدالة عندما كنتُ فريسة لرجل بعمر
أبي؟ ذهبت معه للبيت بعد أن أغواني بمبلغ نقدي
لم أكن أحلم به، وعدني أنني سأرقص له فقط، وافقتُ
لحاجتي وفي بيته رقصت، على أنغام الموسيقى
رقصت، شرب وشربت، رقص ورقصت، غنّيت
وغنّيت، وكأستألو الكأس شربنا، فقدت توازني، وما
عدتُ أدري بنفسي، بدأت يابسة بحيرة الوحل تتشقق
أكثر فأكثر إلى أن سقطتُ فيها، صحتُ وناجيت لكن
دون جدوى، فالغابة الموحشة لا يُسمع فيها إلا
صوت الخفافيش، ومن يومها أصبحت حورية بحيرة
الوحل.

الشهد الثاني

(حجرة بها أرجوحتان، كاميرات تصوير تنشر أعلى وجوانب المسرح،
سيدة المجتمع تحمل حقيبة اجتماعات، بينما الضابط ينظر إليها مدهوشاً
وسط حالة من الصمت ترافقها حركة السيدة).

سيدة المجتمع : تُريد أن تقول لقد حان دورك الآن... أعلم هذا
جيداً، أنا بانتظارك.

الضابط : تدهشني فطنتك في كثير من الأحيان... هل أنت
مستعدة؟

سيدة المجتمع : هي الأقدار التي جاءت بنا إلى هذا الحاضر،
وأوهمتنا أننا سنعيش بسلام.

الضابط : أضعنا خلفنا أحلام الماضي، وحقوق الحاضر
أصبحت علينا حراماً.

سيدة المجتمع : هجرنا ربيعاً أزهاره كانت ميسماً، وجئنا لخريفٍ
أوراقه تتطاير في زحام.

الضابط : أحقاً هي الأقدار من فعلت! أم أن الأيام بترًا تعذب
الأشواق؟

سيدة المجتمع : الأقدار تأتي بالأيام سوقاً، ذليلة كالمغتصبة في
جينها ابن حرام.

الضابط : الأقدار تأتي بجميع الأشكال والألوان، وثلاث
أنفس هي من تحكم الإنسان.

سيدة المجتمع : أنفسٌ تتصارع فيما بينها؛ فتهدمُ الشروخ مع الأيام
أمتن بنيان.

الضابط : تنفوهين بالرماح نحوها، وكأنكِ لستِ بأثني
مثلها!

سيدة المجتمع : بل هذا ما يدفعني لقول ذلك، أيام القدر مثلها
عشتها بعذاب.

الضابط : ولماذا تصارعيني في ذكرها، وهي الظمأى فوق بئرٍ
خاوية من الماء.

سيدة المجتمع : (بحسرة) بل أقول: إن كلينا فريسةٌ لعاصفة القدر،
قتلتها دون رحمة.

الضابط : كفاكِ تألماً يا امرأة... أنتِ لستِ مثلها... أنتِ
حقيقة.

سيدة المجتمع : ليتني كنتُ وهماً، ومن الأحياء كانت هي، وبقيت
تتعنتني بالمغتصبة.

الضابط : كل من نُفِثَ فيه الروح معرضٌ لهذا، الذنب ليس ذنبك.

سيدة المجتمع : ما دام حاضرننا بهذا الوجه ونحن نسكن فيه، فالذنب ذنبنا.

الضابط : ها قد بدأتِ بالهذيان... الحاضر ليس ملكنا أنا وأنتِ.

سيدة المجتمع : هذه حجة الضعفاء... إن أردنا جعلنا الجحيم حياة نقاء.

الضابط : إيَّاك ونسيان أن القدر قد ساقَ في عاصفته زمرة من الأغبياء.

سيدة المجتمع : أتنتعُ أولئك الأبرياء بالأغبياء؟

الضابط : تدافعين عنهم وهم من ينبذون النساء اللواتي لا ذنب لهنَّ في الجريمة! هؤلاء قوم يعرفون الحق وينكرونه، هم كالذين ينبذون الزنا وفي نفوسهم يشتهونه.

سيدة المجتمع : أدافع! أمضيتُ سنوات طويلة وأنا أنادي يا رجل الحق.. أصدح بطلب الحرية، أرشد الناس للتغيير وحب الغير، كنتُ سيدة مجتمعٍ أملكها إصلاح أبناء وطنها.

الضابط : التغيير! يبدو أنكِ تمجدين الغرب وثقافتهم،
تحلمين أن تُصبح مجتمعاتنا كالطبيعة التي يعيشون
فيها... ما رأيك أن نهجر؟ أو طاننا لأجلهم.

سيدة المجتمع : ومن ذكر الهجرة والرحيل؟ الإنسانية ليست أن
نحتكر الحب لمن في دائرتنا فقط... ألم ترَ كم هي
الدول التي تكالبت عليها لعنات الظالمين؟ ألم تبكِ
لصراخ رضيع فقد أمه وهو ليس من بني قومك؟
الضابط : هي فطرتي ولا أستطيعُ تنحيتهَا.

سيدة المجتمع : وهذا ما أود التأكيد عليه... الأوطان هي الأوطان،
وأولادها البارون حتماً سيستمون إليها، وليس من
العيب أن ننظر لمن يختلفون معنا في العرق والدين
نظرة محبة وتقدير، يُراح بها الضمير.

الضابط : سؤالِي لكِ سيدتي... بعد حادثة الاغتصاب التي
مررتِ بها، كيف ينظرُ المجتمع لكِ اليوم؟
سيدة المجتمع : صدقني أن في قلبي حرقه لمرارة هذا الأمر...
فبعد الحادثة التي حصلت معي في مكنتي، نزلتُ
كثيراً، وبقيت قرابة الأسبوع فاقدةً للوعي، وبعد
مرور شهرين على الحادثة، علمت بوجود جنين في
رحمي، وما أسرع نشوب النار!

الضابط : أعتذر منك إن فتحتُ باباً أغلقته منذ زمن .

سيدة المجتمع : لا عليك... علم الجميع بحادثته اغتصابي وبدأت أيام الويل تحاصرني (بألم) عشتُ أياماً كالغربان السود، ينعق فيها الذين تجردوا من بشريتهم بسيرتي وشرفي، لم ترحمني سهام عيون الضباع التي يملكونها.

الضابط : لا بأس، أفدّر حجم الألم الذي رافقك طيلة هذه الأيام، أستطيع التوقف إن أردتِ ذلك... يبدو عليك آثار التعب.

سيدة المجتمع : ما دُمتَ سألتني فعلي الإجابة... بقيتُ على هذه الحال إلى أن جاءني المخاض، صرخت كثيراً لكن دون جدوى، عزمْتُ السير وحدي، في الطريق كان الشبان يتجمعون على صرخاتي المتعالية أماً شيئاً فشيئاً، وعندما وصلتُ إلى المشفى، سُرعان ما أغمي علي.

الضابط : كل هذا العناء تعرضت له دون رحمة؟

سيدة المجتمع : بل أكثر... ولدتُ طفلاً جميلاً في تلك الليلة... إلا أنَّ الجمال لا يُرى بعيون من كانوا ينعتوه بوليد

الزنا، فأبي حاضرٌ هذا الذي أعيشه، وأنا البريئة
من ذنبٍ قذفوني بهِ أهلُ القرى! لكني كالجبال
صامدة، كالينابيع التي تفيض كرمًا على البساتين،
آملةً أن تكون الثمار في المستقبل أكثر نضجًا.

الهشءء الثالث

التوصيف المكاني للخشبة

(في بيت الضابط؁ على أرجوحة في حديقته؁ تجلس والدته؁ ويجلس هو مقابلها).

الأم : أراك مرهقاً يا بني.. ما زلت شاباً ولا يليقُ هذا التعب بك.
الضابط: ليتهُ كان تعباً جسدياً يا أمي؁ للنفس ثورة ترهق الجسد
بعض الأحيان.

الأم : نفس الضابط المغوار رحيمة.. لا حرج في ذلك ولدي؁
فالإنسان أسيرها.

الضابط: عندما أرى مجتمعي يغتصب جماح سيداته؁ أشعر وكأنها
نعيشُ في دائرة هذيان.

الأم : منذ الخليقة يا ولدي والمرأة تعيش في كدر أكثر من الرجل؁
وليس من المبالغة القول إن بعض المجتمعات تعيشُ في
فترة حيض فكري؁ تزج النساء فيها إلى الهاوية؁ بحجة
أنهن دائماً ما يكنن مُحركاً أولياً للخطيئة.

الضابط: وما الخير في ذلك يا أمي؟ أليس الرحم الذي حمل الذكر حملها؟ والثدي الذي أرضعه أرضعها؟ ومن نطفة أنشأه الله وأنشأها؟ فما الفرق بينهما؟

الأم: الله يا ولدي لم يفرّق بينهما إلا بالذي أَرادَه من أدوار نحن نلعبها، الأنثى لها الأدوار المنوطة بها، والذكر مثلها مع اختلاف أدواره، ولكلّ منهما حقّ الحبّ والحياة، والعيش بسلام دون ضنكٍ يصيبُ رويحيهما.

الضابط: في المعتقل كلفتُ بالتحقيق مع مجموعة من النساء، تشقّق قلبي على اثنتين هما أول من قابلتهما، ما أوحش الدنيا وما أقساها على الذين لا حول لهم ولا قوة! جئتُها غاضباً ناقماً، وخرجت بعد التحقيق معهما حزيناً باكياً.

الأم: (واقفة) دنيا الله يا ولدي كهذه الأرجوحة، إن جلسنا عليها كثيراً ظننا أننا في متعة وراحة، والحقيقة أن هذا الوقت إن أجدنا مصادقته، فسنعلمي الكثير من المستضعفين، من بطش قريب يتربص بهم.

الضابط: أمي أنا ضابط وأخضع لحكم القانون... ليس بوسعي سوى التعاطف مع الضحايا، حتى هذا أكاد أخفيه أمامهم، حتى لا يشاع أنّي أُلطف الجميلات فقط، بسبب أنوثتهنّ وما يحملنه من قدرٍ عالٍ على مستوى الجمال.

الأم : (تدور حوله) أرأيت بني؟! نحن غمسننا أنفسنا في وحل ما يقوله غيرنا من البشر، نجلّ شيئاً غير راضين عنه، نقبله كأحد أنواع الأعراف البالية، همّنا رضا حتى من كان فاسقاً في مجتمعنا (بانفعال) نتحدث على هذه الوجه وأنت من أفنيتُ عمري في تربيته وتعليمه!

الضابط: (محاولاً إرضاءها) صدقيني أمي أنا كما رببتني، مخلصاً لوطني ومحافظاً عليه، وكما أنشأتني في طفولتي، محباً للجميع وناصرًا للضعيف.

الأم : (آبئةً عنه) أمن المتجبرين أصبحت؟
الضابط: (يقبل يديها) والله لا أفعل حتى لو أجبرت على قتل نفسي.
الأم : (بلهفة بالغة) لا تقل ذلك يا ولدي... أنت الحياة بأسرها.
الضابط: (يجلسها على الأرجوحة ويجلس بجانبها) أنت كبخيرة في جمالها عندما تلتفّ حولها طيور البجع، ما أرقّ قلبك وما أهناه! حتماً لو كان أبي على قيد الحياة لكان ما زال عاشقاً مخلصاً لك.

الأم : (بتردد) ماذا؟! حان موعد الطعام، هيّا تناولوه سوياً.
الضابط: لماذا كلما ذكرتُ أبي يحين موعد الطعام؟
الأم : ذكر الأموات يجعلني أشعر بالحزن، وكم هم الأموات الذين بقوا أحياء؟

الضابط: في قلوبنا مقابر شتى، يسكن أوردتها من نقشوا حروف
البقاء.

الأم: أيعلم الراحلون زيف الدنيا بعد رحيلهم؟

الضابط: وما الذي ينفي عيشهم للزيف في أيام وجودهم؟

الأم: أين؟

الضابط: لم أفهم!

الأم: أقصد.. وجودهم أين؟

الضابط: في الدنيا طبعاً... (يبتسم) يبدو أنك جائعة يا أمي.

الأم: (تبتسم) وهل الأم تجوع؟

الضابط: (بدهشة) ماذا؟ ماذا قلت؟ تسألين إن كانت الأم تجوع!

إن قدر لها أن تكون من بني البشر، فحتماً الأمعاء الخاوية

لن ترحمها، وستشعر عندئذ بالجوع.

الأم: (تضحك) هذا تحليل أطفال... فهم يخللون الكلام كما

يُنطق.

الضابط: (بحرج) لكن سؤالك ساطع كالشمس، لا يستطيع المرء

حجب نورها.

الأم: (تضحك) إن كان الأمر كما تقول، فكيف يسكن الموتى

مقابر قلبك؟

الضابط: (ضاحكاً) قلتها لك... (تقاطععه في الحديث).
الأم: أعلم ما الذي ستقوله (تقلده في الحديث والحركة) قلتها
لك ألف مرة يا أمي.. مجازاً، مجازاً.
الضابط: (منفجراً في الضحك) وتقلدين ضباط القانون يا أمي! أي
دنيا هذه دون نساء؟

الهشمد الرابع

التوصيف المكاني للخشبة

(زنانة في المعتقل، سيدة المجتمع وبائعة الهوى جالستان على الأرض،
المكان شديد الظلمة إلا من نور سلط عليهما، تبادلان النظر بحذر
شديد).

سيدة المجتمع : يا لقباحة الأيام التي أصبحت بها! ما كنت أدري
أن يوماً سأكون به هنا.

بائعة الهوى : أمرت ساعات طويلة وأنت تثرثرين... أما تعب
لسانك من بذر أرض يباب؟

سيدة المجتمع : (متعجبة) أرض يباب! (تتمعن في شكل بائعة
الهوى ولباسها الفاضح) عجباً للزمن الذي أصبح
فيه القاصي والداني يأكلان من الطبق نفسه.

بائعة الهوى : بل عجباً لمن يجمّلون أنفسهم بثياب الحضارة،
ونفوسهم لا تحوي إلا القذارة.

سيدة المجتمع : (بكيد) من خبرتي الطويلة، كوني سيدة مجتمع رقيقة، أجد أن مجتمعنا يضم بين قاطنيه أجسادًا رخيصة (تضحك بقهقهة) هي كاللحوم المعلقة، يشتهيها كل عابرٍ للطريق في السوق.

بائعة الهوى : ومن خبرتي كبائعة للهوى، التي تتجاوز في مجملها الثلاثين عامًا، أجد أنّ الكثير من أصحاب الياقات البيضاء، ينغمسون في طلب الرذيلة بعيدًا عن الأضواء (تقف وتمشي) ربما يفعلون ذلك لنقص عانوه منذ طفولتهم.

سيدة المجتمع : وما هي قضية من تتحدث بهذه الفلسفة؟

بائعة الهوى : (تقترب وتنظر نحو النافذة) الفلسفة هي قضيتي.

سيدة المجتمع : الفلسفة! (تقف وتقترب منها ممعنة بهيئتها) هيئتك لا تدلّ على أنّك منخرطة في هذا المجال (تشير بإصبعها نحوها بازدراء) أنا آسفة.. لكن هيئتك تدلّ على... (تقاطعها بائعة الهوى).

بائعة الهوى : تدلّ على أنّي فتاة ليل... هذا ما يخطرُ لك، أعلم

ذلك، إن أردتِ الحق هيئتي تشيرُ لذلك، لكن هل

كلّ من ارتدت ملابسها هي كذلك؟

سيده المجتمع : أعتذر إن فهمتُ على نحوٍ آخر... ما أردتُ قوله هو... (تقاطعها بائعة الهوى).

بائعة الهوى : الإنسان ابن بيئته، وهناك الكثير من الفتيات يرتدين ما تعدينه أنتِ ملابس فاضحة، فهل لكِ الحق بأن تنعتيهنَّ بفتيات ليل؟ دعارة التفكير هي ما يجب أن تشرع لها القوانين الصارمة.

سيده المجتمع : (تشعر بالخرج وتبتعد) إذن قصدتِ فلسفة المجتمع وتشئتته، يخدعُ المرء كثيراً بالمظاهر، ويبدو أني من خدعتُ هذا اليوم... من علمك ذلك؟

بائعة الهوى : أرسفةُ الطريق مقعدي، وزقاق الموت التي يدفن بها الناس أحياء مدرستي... الزمن بتجربتي الميرة فيه معلمي، وخبرة الليل مع العطشى هي شهادتي. (يسمع صوت من الخارج، تتوقفان عن الحديث خوفاً، تقتربان من بعضهما).

الصوت : ادخلا بسرعة... تحركا... قلتُ لكما بسرعة... ما أشقى اليوم الذي رأيتكما فيه! (يدخل الحارس ممسكاً بفتاتين من معصميهما، تحاولان الإفلات منه).

الطبيبة : لا يحق لك أيها الحارس معاملتنا هكذا...
سأخاطب منظمة حماية المرأة.

المعلمة : كُتِبَ التاريخ أيها الحارس لن تنصفكم، في صفحاته
القدرة ستذكرون.

الحارس : (غاضباً) اصمتا عن هذه الشرثرة... أجرمتما بحق
أفراد المجتمع، ولكما عين الأفعى بالتحدث!
اصمتا وإلا أريتكما ما سيفعله بكما غضبي (يرفع
يده اليمين لضربهما).

بائعة الهوى : (ممسكةً بيده) وهل من الرجولة أن ترفع يدك على
أنتى يا من تُسمّي نفسك رجلاً؟ إياك أن تُتبت ما
ينقصك علينا.

الحارس : هذا ما كان ينقصني... بائعة للهوى تتمرد في
المعتقل! لماذا لا تستدعين من أغويتهم في لياليك
العطرة، ليضربوني دفاعاً عنك؟ (يمسكُ بشعرها)
ابتعدي وإلا سحقتك أسفل قدمي (يرفع يده
اليسرى ليضربها).

سيدة المجتمع : (ممسكةً بيده) بائعة الهوى التي تتحدث عنها، ما
هي إلا ضحية مجتمع لا يرحم، أمّا أنت فالجبروت
هو إرادتك، لن تبقى في عملك صدقني، حتى

وإن بذلت حياتي في إثبات قذارتك... اتركها أيها
القبيح.

الحارس : حتى أنتِ أيتها المغتصبة، أصابكِ داء التمرد! كيف
لولدكِ أن يعيش حُرًّا وأنتِ أمه؟ (يضحك)
الأجدر بكِ أن تجدي له أبا مغفلاً يتبناه (يمسكها
من شعرهما).

الطبيبة : (منقضة على الحارس) إياكِ ولمسها بسوء أيها
الجاهل... عندما أخرج، سأحقنك بالمحلول الذي
يجعلك كالغراب، تنعق وتصيح.. والجميع يلعنك.
الحارس : (يقاومهن) سأكون غراباً من الطير التي ستأكل
رأسكِ وأنتِ معلقة.

المعلمة : (منقضة على الحارس) سيكون لك ذلك عندما تُعدم
كلّ النساء، أمّا نصدح وما دمنا بصوت الحق، فلن
يكون لك ذلك.

الحارس : ابتعدي يا محبوبه أبطال روايات الأدب... أحقاً
تسمين نفسك كذلك؟ أجزم أن هذا الجنون هو
من دفع بكِ إلى جحيم العوانس.

جميع النساء : في الظلام لن نهان، في النور سوف نكون، صوتنا
بلغ العنان، به نقذفُ فسقكم والمجون.

الهشمد الخاهس

التوصيف المكاني للخشبة

(حجرة للتحقيق في معتقل، أجهزة تصوير تنتشر في المكان، الطيبية والمعلمة جالستان مقابل بعضهما، يقف الضابط كأنها يتابع أحوال المجتمع على شاشة كبيرة تتوسط المسرح).

الطيبية : منذ أكثر من ساعة ونحن على هذه الحال، جالستين ننتظر، ألا تودّ أن تبدأ التحقيق سيادة الضابط؟
(صمت طويل يثير حفيظة المعلمة).

المعلمة : سيادة الضابط نحن لسنا مقاعد خشبية لا تنطق، إن كان لديك شيء فتفضل وقله، ولن تجد منّا إلا حقيقة ما حدث (يلتفت إليهما الضابط ويقرب ببطء).

الضابط : (للطيبية) قسم المهنة سيدتي؛ يحتّم علينا أن نبذل كلّ ما بوسعنا لأجل الخدمة العامة، وأن نحفظ الأرواح فلا نجعلها كما الألعاب، إن شئنا حطّمنها.

الطبيبة : ويحتم علينا ألا نبطش حتى بالألعاب أمام من يحبونها،
فهي مصانة حفاظاً على الصحة النفسية لهم، إنهم
معلقون بها عاطفياً، كتعلق السنجاب الجميل بحبات
البندق.

الضابط : ألا ترين معي أن التعدي بالضرب على رجل مصاب
جريمة تستحقين السجن عليها؟

الطبيبة : كان ذلك الرجل ضارباً لزوجته، ومسبباً لها خدوشاً
وكدمات كثيرة، جاء إلى المستشفى بعد أن فاض الصبر
بزوجته، فأقدمت على ضربه بواسطة عصا على رأسه،
لطالما كان يضرها بها.

الضابط : أيا كان فعل الرجل، لا يحق لك ضربه بحسب القانون.
المعلمة : وأين كان يبيت القانون عندما أقدم ذلك الرجل على
ضرب زوجته؟ أحلالٌ عليه، وحرāmٌ عليها؟ لا نفع
لقانون ينصر الظالمين.

الضابط : من فضلك أيتها المعلمة.. لم يكن دورك الآن، أنا
أخاطب الطبيبة ولا أوجه الحديث لك، وفري دفاعك
لنفسك.

الطبيبة : للمعلمة) أقدر حجم نبلك... (للضابط) جاء الرجل

وزوجته، كانت واضحةً آثار التعذيب عليها، علامات الأغلal في قدمها لا تخفى على العين المجردة، خطوط الحروق الطولية كالأفاعي تسير على ظهرها، لماذا لم تكثرثوا لذلك بدلاً من الاكتراث لحق الرجل الجاني؟

الضابط : وما الذي أدراك أن زوجها من فعل ذلك؟

الطبيبة : قدما وهما يتقاذان الشتائم، وعند سؤالي للمرأة عن حالها وسبب معاناتها الجسدية، أخبرتني حينها وهي تبكي كل شيء، لم أعلم سبب صبرها عليه!

الضابط : للبيوت قدسية عظيمة... ما شأنك لتخترقيها؟

الطبيبة : إن كانت أعمدة البيت متهالكة؛ سقط البيت وقضى على كل جميل فيها.

الضابط : كيف قمتِ بجريمتك؟ أغواكِ نفرٌ من المحرضين!

الطبيبة : من تلقاء نفسي... لستُ بحاجة لمن يعلمني كيف أنصر الحق.. بعد سماعي لقولها، ذهبت لمداواته في حجرته الخاصة، قمت بإجراء اللازم له، وقبل خروجي سألته عن سبب جروحه... (صمت طويل).

الضابط : أكملِي أيتها الطبيبة، ما سبب إقدامكِ على ضرب الرجل؟

الطبيبة : عندما أتذكر إجابته أشعر بالتقيؤ... أخبرني أن الجارية التي تزوجها هي من فعلت ذلك، وأنها لا تشكر النعمة التي تعيشُ بها، وصارحني أنه يُطعمها أكثر من خرافه، وأنه يحب الخيل أكثر منها.

الضابط : (بغضب) أتعامل المرأة على هذا النحو! أهذا جزاء من أوته في بيت قلبها؟

المعلمة : (تقف غاضبة) لو كنتُ مكانكِ لأشبعته ضرباً... الرجل الحقيقي لا قيمة له دون عقل يفكر فيه، ودون قلب من رقيقة في خريف عواطفه يغنيه.

الضابط : (للمعلمة) قلتُ لكِ لم يحن دوركِ سيدتي، التزمي الصمت ريثما أكمل أنا، من فضلك.

الطبيبة : تفجر بركان غضبي عندما أخبرني أنه ما تزوجها إلا لتنجب له الكثير من الأطفال، ولأجل قضاء رغبته معها، لكي لا يقع في الحرام... هذا كل ما كان يعنيه من زوجته، لم يكن ذلك الرجل يكثرث بالذي تشعر به زوجته من ألم يكاد يكون مميتاً.

الضابط : هل أفرّ أمامكِ أنه هو من ضربها؟

الطبيبة : بل أكثر... قال إنه عندما كان يؤديها لزوم الطاعة،

وهي مقيدة على الأرض، جاءت إحدى بناته وفكت وثاقها، تمردت الفتاة على أبيها لأجل أمها، وما أن وقفت زوجته حتى باغته بعدة ضربات صاح كثيراً من أمها، قال لي إن من حق السيد أن يؤدب عبده.

الضابط : أهكذا تعامل المرأة في عصرنا؟! أكرمها من خلقها، فكيف لمخلوق ليس بقدرها أن يبتز كرامتها.

الطبيبة : سمعت ذلك منه ولم أحتمل أكثر، هويت براحة يدي على وجهه، كانت الضربة كالمطرقة عليه، ضربته وضربته وهو يصيح أنقذوني... أنقذوني... طيبة تحاول قتلي... هل يسمعي أحد؟ إلى أن جاء الشرطي المناوب وقبض علي.

الضابط : أنادمة على فعلتك؟

الطبيبة : أعلم أن ما فعلته مخالف للقانون، ولكن قد تداهمننا في بعض الأحيان عواصف الغضب في لحظة آنية، لأمر ما.. يكون قد أغضبنا فنفقد السيطرة فيه.

الضابط : (يلتفت للمعلمة ويتسم) ها قد آتى دورك، فلماذا كل هذا الفضول؟

المعلمة : ليس بفضول أيها الضابط، بقدر ما هو ثورة في النفس

على أمرٍ تَشْمَتُّرُ له النفوس، أصبحنا في وطنٍ يُحْكَمُ به
وفق شريعة الغاب.

الضابط : (معتزلاً) إياك والتجاوز على السلطة أيتها المعلمة،
وبدلاً من ذلك عليكما أن تحمدا وتشكرا على نعمة
حمايتكما، وتوفير الطعام والشراب لكما.

المعلمة : (تقف صارخة) هذا الحديث توجهه لهرة بيتك إن
أدركت ما تقول، أما نحن فقد وهبنا الفكر في ما تحمله
أكتافنا من عقول، وأفكار الحرية ليل نهار بها تجول.

الضابط : تتلاعبين بمفرداتك المقعرة تلاعباً يطرب له السمع
(يصرخ) الأجدرك بكِ بدلاً من هذا أن تبكي أماً
وحسرة على الذي فعلته بفلذات أكبادنا، هل نُزعت
الرحمة من قلبك؟

المعلمة : بل الرحمة التي أمتلكها هي ما أشارت عليّ بذلك،
فتحتُ عقولاً لطلما أصررت على إقفالها، أنتم تريدون
جيلاً كالإبل في الصحراء، تسير دون عناء، طالما ملأت
خفها بالماء.

الضابط : إنها سفينة الصحراء، لا تشكو الظمأ وإن شعرت.

المعلمة : سفيتكم دون بحر يرسو بها إلى شاطئ الأمان.

الضابط : (يقترَب منها بانفعال) بر الأمان لديكِ هو أن يتمرّد الأطفال على معلمِيهم ومديرهم؟ كيف سيعرفون معنى الطاعة إن استجابوا لنصائحك يا فاضلة؟

المعلمة : ليس التمرد ما قصدته حضرة الضابط... إنّما أبنِي في نفوسهم أن يكونوا قادة المجتمع، ممثلين لشعبهم في المحافل الدولية، أحرارًا تشتعل نفوسهم بالكبرياء.

الضابط : قولك الآن مخالف للتقارير التي وصلتنا، وتحاولين إخفاء الحقيقة؟

المعلمة : هذه معضلتنا الكبرى، نصدق ما يكتب كأنه وحي من عند الله، ونحن نعلم أن من يكتبه بشرٌ مثلنا، منهم من يصيب ومنه من يكتب حاقداً.

الضابط : ما الذي كنتِ تعلمينه للأطفال إذن؟

المعلمة : الحرية والكرامة عنوانهم، والعروبة من عدنها لشامها دماؤهم، أرواحهم حرام بينهم كما الدماء، رسالتهم في الدنيا المحبة بين البشر والوحدة والإخاء.

الضابط : (بعد صمت) تفضلاً بالخروج... انتهى استجوابكما.

الرشهد السادس

التوصيف المكاني للخشبة

(بيت الضابط، الضابط وأمه يتناولان الطعام، الأم تراقب شروده أثناء الأكل).

الأم : ما أخبار سجينات المعتقل بني؟ زاد فضولي في معرفتهن.
الضابط: كأنَّ كفة الصبر رجحت لديهن، كُنَّ كسرب النمل في ثباتهن على موقفهن.

الأم : لربما هنَّ بريئات، فكم سمعنا عن طائفات الليل كيف عشن طفولة العذاب ومرارة الأيام! ألسنة الناس بُني كعقارب جهنم الملتهبة في سقر.

الضابط : عندما أدخل عليهن، تُهاج نفسي للتهم المنسوبة إليهن، وعند حديثهن وصراخ قلوبهن، تكاد دماء عيني تُراق من شدة الدموع، أضبط نفسي فلا يشعرون بذلك، لكن النفس تصدقهن أمني ولا أستطيع البوح.

الأم : اتبع هواك وتمعن، وإياك وميل القلوب، فإنك لا تملك أمرك، والأرض مصنع الحبوب.

(يطرق الباب، ويدخل الحارس بعد أن يفتح الضابط له، يجلس برفقتهم، تضع الأم له الطعام مرحبةً، بينما تظهر علامات الخجل عليه).

الضابط : أمي هذا هو الحارس النشيط الذي أخبرتك عنه، قدم إلينا قبل مدة قصيرة، لكنه سرعان ما أثبت لنا إخلاصه في العمل، وعدم محاباته في تطبيق القانون على سجينات المعتقل.

الأم : أهلاً بك بني... أمل أن لا تكون باطشاً بهن، إياك والظلم... أخذني الحديث أسفة.. تفضل بتناول الطعام.

الحارس : (وهو يأكل بشراهة) شكراً سيدي على هذا الكرم... طعامك كطهي أمي، شهى لذيذ (يتحدث وفمه مملوء بالطعام) جئتكَ سيدي لأستأذنك بشيء من العقاب لسجينات المعتقل، فتمردهنّ زاد عن الحد الطبيعي، وأخشى أن يقول القادة إن ضابط السجن لا حول له ولا قوة أمام جمال السجينات (يضحك فينثر الطعام).

الضابط : (ثائراً) من يجرؤ على الحديث بهذا، جعلتُ سوطي أنيساً له قبل النوم.

الحارس : (خائفاً) وأنا أراهن على ذلك سيدي... فكلّ المعتقل يتحدث عن ضراوة قلبك، وشدة بأسك، واللامحابة بين معتقل وآخر، فالجميع في العذاب سواسية لديك.

الأم : (غاضبة) نذير شؤم ما نطقت به أيها الحارس، ولدي ليس على هذا الوصف الذي تقول.

الضابط : (قاذفاً للماء بوجه الحارس) ما الذي فعلته أيها الغبي.. جئتنا لتكدرّ خاطر أمي؟

الأم : (للضابط) أفعالك اللاإنسانية هي من كدّرت خاطري، القدر جاء بهذا الجندي ليكشفك أمامي، حتى أمك أيها الضابط لم تسلم من أكاذيبك؟ (يعود الجندي للأكل بشراهة بالغة).

الضابط : (برجاء) أقسم إنّي لستُ كذلك أمي... (يتنبه لشراهة الجندي بالأكل) انظري إليه... (تتنبه الأم للجندي) أصدق من يدخل بيتاً دخلته الأولى ويأكل بهذه الشراهة... من لم يستح يا أمي فعل ما شاء.

الجندي : (ينهي طعامه ويمسح فمه بأكمامه) وما العيب في ذلك سيدي؟ علمتُ سابقاً أن أمك امرأة حنونة تكرم الضيف، كما تكرم أنت المعتقلات ليلاً برشهنّ بالماء.

الضابط : (يحاول أن يتهجم عليه) تكذب أمامي أيها القبيح...
اغرب عن وجهي قبل أن أشبعكَ ضرباً (يمسكه من عنقه
وسط محاولة أمه لمنعه) دعيني أمي أرجوكِ، فطبيتنا هي
من قادت مثل هذا إلى أن يكون على هذه الحال، (يشتم
رائحته) ما هذه الرائحة أيها القدر؟

الأم : اتركه بني... أنا أصدّقك أتركه... سيموت بين يديك.
الجندي : (وهو يتنفس بصعوبة) يبدو أنها رائحة الطعام تفوح من
فمي سيدي.

الضابط : أرجوكِ دعيني أمي... (للجندي) طعام أمي لا ينتج
رائحة الخمر أيها السفية.

الأم : ماذا؟ خمرٌ في بيتي! ما الذي تهذي به بني؟
الضابط : رائحة الخمر القدرة تفوح من فمه النتن... كيف تجرؤ على
دخول بيتي وأنت مخمور؟ أما خفتَ من عقابي!
الجندي : (ضاحكاً) إن كان عقابك لي كالعقاب الذي تنزله
بسجينات المعتقل فلا بأس، فهنَّ جميلات جداً، وعقابهن
حلو المذاق... أشبعني منه من فضلك سيدي.

الضابط : (يوقعه الضابط أرضاً) لا تكتفِ بشربك الخمر، وتكذب
مما يمليه عليكَ رأسك أيها الثمل (تحاول الأم ثنيه) سأقيدك

بردائكَ هذا (يخلع عنه رداءه فتصرخ الأم) ما الذي جرى

يا أمي؟ (تصمت الأم) ما الذي حدث؟

الأم : (خائفة) اتركه بني... أخرجته من منزلي فوراً.

الضابط: (يترك الجندي) لماذا تشيحين بوجهك عنه؟ ما الذي رأيته؟

الجندي : (وهو يرتدي رداءه متأرجحاً من شدة السكر) ربما أشفقت

لحالي رحمةً، هكذا هنّ الأمهات قلوبهنّ قيس من القمر.

الأم : أخرجته من هنا بسرعة ولدي... لا أريد أن أراه... نفذ

الأمر بسرعة.

الضابط: (مستجيباً) هيا أيها الأحق، غادر إلى المعتقل ريثما أعود

وأتدبر أمرك.

الهشمد السابع

التوصيف المكاني للخشبة

(في زنزانة المعتقل، السجينات الأربعة يتخذن في جلوسهن نصف دائرة مقابل الجمهور، يلعبن لعبة الصراحة، زجاجة ماء أداة اللعبة، صمت طويل حتى يبدأ الحديث).

الطبيبة : (تلف الزجاجة فتأتي مقدمتها نحو سيدة المجتمع)
ها قد جاء دور من تناضل في الشارع، وسط مجتمع
ذكوري يستهجن فعلها، وتنادي بدور المرأة أساساً
لبناء الهرم في جميع خطاباتنا، حدثينا كيف كانت
طفولة صديقتنا القوية؟
سيدة المجتمع : باختصار عشتُ في طبقة راقية، كنتُ ابنة تبتتها
عائلة غنية، ترعرعت في كنفها، وتعلمت القانون
من أبي بالتبني، كان محامياً ذائع الصيت آنذاك.
المعلمة : وأمك ماذا كانت تعمل؟

سيدة المجتمع : كانت سيدة الجمعية التي أُديرها الآن، فارقا الحياة وبقيت وحيدة بعدما أنهيت دراستي الجامعية... (بحرقة) كم أشتاق لهما! وكم تمنيت أن أرى أبي وأمي الحقيقيين! لا أعرف من هما، ولا أي البلاد تجمعهما.

بائعة الهوى : (تدخن) وكيف وقع الاغتصاب؟ أخشى أن يكون حبيباً وهرب بعد فعلته.

سيدة المجتمع : (صائحة) لا لم يكن حبيباً... من هواه قلبي جاء أجله في حادث سير، كنتُ معه يومها، كُنّا نجهّز ليوم زفافنا (تبكي) نجوت أنا ومات هو، وبقيت بدلة عرسه تعانقني، أشتَم عبقه فيها، عطره النفّاث الذي كان يزعجني، أصبحت رائحته الذكرى الجميلة لدي. (تحضنها الفتيات ويضحكنها جبراً).

بائعة الهوى : كلُّ متألها المأساة الخاصة فيها، ولا حرج من ماضٍ أجبرنا أن نكون فيه.

سيدة المجتمع : في اليوم المشؤوم ذاك، جاء الرجل إلى مقر الجمعية، عرض علي مبالغ طائلة كدعم للصندوق إن وافقته في المشاركة بحملته الانتخابية (صائحة وهي تجسد

القصة) عارضت ذلك بشدة، وانتهلت عليه بوابلٍ من التوبيخ الأدبي (تمثل الغرور) فكما تعلمن، سيدات المجتمع... قبحهن أدب (تضحك) وتضحك الأخريات).

المعلمة : هل نتضرع إليك لتخبرينا بأحداث القصة؟ أتوق لمعرفة جزئها الأخير.

سيدة المجتمع : (جالسة) شعرَ بإهانة خدشت كبرياء ذكورته، فالذكر من هؤلاء، حتى إن كان من أرذل القوم، فلا يقبل على نفسه الإهانة من المرأة وإن كان مخطئاً، وهذا ما حدث، ثار بوجهي كالشيطان الرجيم، برزت أنيابه واشتعلت عيناه غضباً (تشهق) كالجرذان على فريستها كان هو، كالصقر الجريح الهارب كنتُ أنا، لكن إصابتي كانت سبباً لافتراسي من قبل الجرذ.

بائعة الهوى : (متدركة حزن سيدة المجتمع) ما خطبكن؟ لا مجال للحزن داخل هذا الميتم، أشعلنه بضحكاتكن (يضحكن بقهقهة) الآن دوري في لف الزجاجة (تلفها فتأتي نحو الطيبة) وقعتِ يا من تترينين

بالأبيض... شعورك عندما ترتدين ثوب عملك
الأبيض؟

الطبيبة : مرةً أشعر معه بتجدد الحياة، ومرة أشعر بدنو
الأجل، فهو يرمز لنوافذ الأمل عندما أرى عروسًا
تغمرها السعادة ترتديه، ويرمز للغمام الذي يصيب
قلبي عندما أراه قد كسا جسداً فارقته الروح
ونحيب الصابرات منّا فوق رأسه.

سيده المجتمع : ألم يشغف قلبك حباً لطبيب مثلاً كان لك زميلاً في
السابق؟

الطبيبة : (تمشي بأنوثه) كل الذين صادفتهم في حياتي أرادوا
الزواج مني، عزاباً كانوا أم متزوجين، قال أحدهم،
وقد كان شاعراً، أنت لستِ كالنساء... أنت كالجبال
الشامخة.. يملؤها الكبرياء (تضحك الفتيات).

المعلمة : هذا شاعرٌ أراد أن يتفوق على مجنون الصحراء،
فباءت محاولاته بالفشل (تضحك) لكن ما شأن
جميلة أنشودتها الحسن بأن تضبط إيقاع الرجال؟

الطبيبة : أعلم أن العلاقات الزوجية قد تحمل في طياتها
الكثير من المشاكسات، إلا أن نوافذ عقلي تُغلق

أمام عنفٍ، ينتج عن قيح غضبٍ يصبُّ على النساء
من قبل الرجال.

بائعة الهوى : وأهلك... هل تقبلوا هذا من ابنتهم الطيبة؟
الطبيبة : (بعد صمت قصير) ربّما أرواحهم كانت تُخلق فرحاً
وقتئذٍ (تعتصر ألماً).

بائعة الهوى : (بعد تهدئة الفتيات لها) آسفة.. لم أكن أعلم أنهم قد
فارقوا الحياة (تحضنها) هذا شأن الدنيا، تحرمننا من
أولئك الذين ننتزع قلوبنا لأجلهم.

الطبيبة : لا أعلم إن كانوا قد فارقوا الحياة أم لا! كلُّ ما أعلمه
أني نشأتُ في كنف أسرةٍ مسيحية طيبة، امرأة فقدت
زوجها في الحرب منذ سنين، ترك لها ثلاثة أطفال،
عشتُ بينهم، ربّتنا على مكارم الأخلاق، لم أشعر
يوماً أنها تفرّق بيني وبين من أنجبهم رحمها.

المعلمة : الإنسانية لا تعرف لونا أو عرقاً ولا ديناً... تعرف
العطف والرحمة، الرأفة بالكهل ومداعبة الصغير،
نحن البشر ولدنا بها إلا أن بطش الدنيا أكبر.

سيدة المجتمع : (للطبيبة) وما رأي أمك وإخوتك في الحياة؟
الطبيبة : هذه هي الفاجعة الكبرى... كنتُ في الثانوية

وقتئذ، الأحد، يوم الصلاة في الكنيسة، ذهبت
أمي وإخوتي للصلاة ولم يعودوا (تبكي) صوب
الله كانت قلوبهم متوجهة عندما حدث التفجير،
أشلاءً وسدوا في قبورهم.

المعلمة : (بحرقة) تقصدين ذلك اليوم قبل عشر سنوات!
عندما استهدفت جماعة متطرفة كنيسة الحبي
الشرقي؟

الطبيبة : (باكية وسط تأثر الفتيات) أجل هي الكنيسة ذاتها.
بائعة الهوى : (للمعلمة) وما أدراك أنتِ؟

المعلمة : (تمشي متأثرة إلى زاوية) من ربّاني كان إماماً وخطيباً،
يعتلي منبر المسجد الذي يقابل تلك الكنيسة، لحظة
تهجدته وهو ساجد لله، سمع صوت التفجير،
صراخ الأطفال والنساء، وثب من صلاته هرعاً،
بدأ بإنقاذ الجرحى من داخل الكنيسة، كانت نيرانها
المشتعلة لا ترحم.

الطبيبة : الشيخ الجليل الذي ذكرته كلّ الصحف هو أبوك؟
أذكر أنهم قالوا عندما أخرجوه.. كان متفحماً.

المعلمة : هو بعينه... كان زاهداً في الدنيا، ربّاني على الفضيلة

وقول الحق، وأن البشر إخوة، لا تفرقهم النزاعات
مهما بلغت ذروتها.

الطبيبة : قرأت أن عجزاً كانت شاهدة على ما حدث،
روت كامل القصة، قالت إنها عندما كانت تصلي
وقع التفجير، وتطايرت الأشلاء في كل مكان،
رأت وهي صعقةً على الأرض ذلك الشيخ ينقذ
الجرحي، ولما رآها شبه عارية خلع ثوباً يستره
وألبسها إياه، وقبل الخروج سمعا صوت رضيع
يبكي من الداخل، أخرجها الشيخ وعاد مسرعاً
للداخل لإنقاذ الرضيع.

بائعة الهوى : وكيف مات متفحماً ذلك الشيخ؟ (تبكي المعلمة).

الطبيبة : التهمت النيران جميع محتويات الكنيسة، وعندما
وصل فريق الإنقاذ إلى الداخل، وجدوه ساجداً
يحمي بظهره الرضيع، كان متفحماً والرضيع يبكي.
سيدة المجتمع : وهب الرضيع حياة الشيخ.. ما أعظم شأنه ذلك
الرجل!

المعلمة : (بحرقة) عندما كنتُ أسأله من أنا؟ ومن الذي
جاء بي إليك؟ كان يردد ضاحكاً أنتِ ابنة صلبِ

القدر المقدس الذي جاء بك إلي... أنا والدك رغماً
عنك.. ثم يضحك (يسمعن صوت أقفال تفتح
الأبواب فيصمتن، ثم يدخل الحارس ثملاً).

الحارس : (يلاحظ صمتهن) ما خطبكن؟ هل رأيتن شبحاً أم
شيطاناً من المارقين؟

بائعة الهوى : بل رأينا إنسياً جباناً، تفوح منه رائحة عفنة، دخل
علينا وهو من الثمليين.

الحارس : ظننتُ أن معتقلاً للنساء سيزيد حياتي بهجةً يا طويلة
اللسان.

سيدة المجتمع : معتقلاً للحرائر أيها الديء، لن تجد فيه ما يشبع
نفسك القذرة من ملذات.

الحارس : النساء كالخمر يا سيدة المجتمع الفاضلة، يذهبن
العقول بجماهن.

المعلمة : المناضلات رجال في نفوسهن، يأيين السمع
والطاعة لشرذمة من أمثالك.

الحارس : بل عليهنَّ الطاعة رغم أنوفهن، وإلا سيدقن ما
يؤلمهن.

بائعة الهوى : إن كنتَ تسمِّي نفسك رجلاً يا أشعث، جرّب
واقترَب منّا.

الطبيبة : سأحقتك بداء سعار الكلاب، لكي تنبح في أرجاء المعتقل.

سيدة المجتمع : هذا إن لم يصبح حمارًا، ويطربنا بنهيقه.
المعلمة : أو لعله تحوّل إلى قردٍ، يأكل ما نخلفه من قشور الموز.

الحارس : بل سأكون ديناصورًا نافخًا للهب، أحلق فوقك منتزعًا لشعورك من رؤوسك، صائحًا بنار من غضب تنفجر من فمي في وجوهكن.. فأنا الديناصور الطائر (يضحك وتقوم الفتيات بمحاصرته داخل المعتقل).

الطبيبة : (تقترب منه بغضب) سأنتزع سرايين قلبك الموصلة للهب، وسأضعها في أذنيك لكي تطرب عليها (تصطنع الضحكة الشريرة، فيسقط الحارس أرضًا).

سيدة المجتمع : (تقترب منه بغضب) سأقطع جناحك الأيمن أيها الديناصور المتوحش وسأجعله مكنسة، أقشُّ بها القمامة من أمام باب الجمعية (تصطنع الضحكة الشريرة، يحاول الحارس الفرار حبواً).

الحارس : أرجوكن... كنتُ أحاول المداعبة لا أكثر... يبدو أن مزاح النساء شيء صعب.

بائعة الهوى : (تقرب منه واضعة قدمها على صدره) وهل كنتُ تظننا ممن يسهل صيده أيها الخرف! المرأة متى أرادت العفة أصبحت كنوز قارون في عينيها رماداً.
الحارس : (متألماً) ما عنيتُ ذلك سيدتي... أقدّر المرأة حتماً.. فهي نصف المجتمع (تشد بقدمها على صدره) وإن أردتِ الحق هي كلُّ المجتمع (يصرخ من فرط الألم).

المعلمة : ستألم أكثر عندما أقطع جناحك الأيسر، وأصبُّ عليك محلولاً كيميائياً، يجعل عظامك نخرة، ومن رأسك بيتاً للدود (يحاول الحارس أن يتقيأ).

الحارس : (هلعاً) دود! دود! الدود لا يقتحم الجسد إلا بعد الموت... كفى أرجوك.. أنا أخاف الدود، فمنظره مقزز ولا يبعث في النفس إلا القرف.

بائعة الهوى : ليس شرطاً أيها المغفل، ربما تراه وأنت تبصرُ النور (بحرقة تستذكر الماضي) فما أكثر الديدان الملتهمة لأجساد النساء وهنَّ أحياء!

الطبيبة : (عند رأس الحارس) انهض أيها القدر، فلا خوف
من دودة مثلك.

سيده المجتمع : غادر أيها البائس وادفن نفسك قبل أن تنال منك
المهانة أكثر ويدفنك الذل.

الحارس : (مغادراً من خلف القفص) ستندمن يا قبيحات على
أفعالكن... أعدكنّ بذلك.

الهشء الثاني

الوصيف المكاني لخشبة المسرح

(المعتقل، في مكتب الضابط، يجلسُ هو وأمه، يُشاهدان أحوال المجتمع على شاشة، تمرزت في عمق المسرح).

الأم : ما كنتُ أظن ذلك بك! إِيَّاكَ أن توهمني مجددًا، بارعُ أنت في التمثيل.

الضابط : أمي لماذا لا تريدين تصديقي وأنا من أقسم لكِ إني.. (تقاطعه).

الأم : قلتُ لكِ إِيَّاكَ أن تقسم كذبًا منذ أن كنتَ صغيرًا.

الضابط : لم ولن أعذب متهمًا في حياتي... بارءٌ بالعهد أنا.

الأم : رائحة كذبك استنشقتها أهلُ ضحاياك وجيرانهم.

الضابط : وهل يصدقُ كلُّ ما يشاع؟

الأم : الريح التي تأتي لتنتشل الجيف، تحملُ دون أن تشاء غبارًا هائجًا.

الضابط : إن الذين يمتهنون مهنتي هذه يعانون في حياتهم؛ في عملهم جهداً وفكراً، وبين عائلاتهم شرح العواطف، وها أنا أمامك مثلهم لا تصدقيني.

الأم : قلب الأم هو من أتى بي هنا، لأرى السجينات وأسألهن بنفسي.

الضابط : بحق روح أبي الطاهرة لم أقل شيئاً غير الصدق.

الأم : (غاضبة) لا تقسم بروح لا تدرك أنت صدق طهرها.

الضابط : الذي تتحدثين عنه هذا أبي... ألا يكفيك أني لم أره؟

الأم : من حسن قدرك أنك لم تره... ولو كان، لكنت مجرماً لا رجل قانون.

الضابط : ألسنت من أنشأ طفلاً على حبه والحنين لذكراه؟!

الأم : في السابق كان هذا... أما الآن فأنت رجل، وعليك ألا تبقى مخدوعاً.

الضابط : الخديعة أن أبقى مغفلاً إلى هذا العمر... ما الذي تخفيه عني؟

الأم : (تتذكر) أين ذلك الحارس السكرير؟

الضابط : ما الذي تخفيه يا أمي؟ وما الذي حدث لتذكره؟

الأم : طباعه كأبيه... عرييد لا يتهاون في أكل الحرام.

الضابط : ما الذي تخفينه؟ ما شأن الحارس؟ وما شأن أبيه؟
الأم : هي الدنيا سيادة الضابط... تأتيك أحياناً بالذي يُدهشك.
(يطرق الباب فيأذن الضابط، ويدخل الحارس هلعاً).
الحارس : سيدي... سيدي... (يلاحظ الضابط خوفه وهلعه).
الضابط : ما بك؟ من الذي مزّق ملابسك؟ (تقف الأم وتتحرك
نحو الجندي ببطء).
الحارس : هنّ مجنونات يا سيدي، ويجب علينا أن نعيدهنّ إلى
رشدهن.
الضابط : (يراقب أمه وهي تُمعن النظر بالجندي) أنتَ من يجب
أن أعيده إلى رشده في الوقت المناسب، عمّن تتحدث أيها
اللعين؟ (تقترب الأم أكثر من الجندي).
الحارس : السجينات ومن غيرهنّ! حاولن قتلي عندما كنتُ أدخل
لهنّ الطعام.
الضابط : (يراقب أمه) ليتهنّ فعلمن ذلك... لكنّ أقتم احتفالاً
نرقص فيه أنا وأمي.
الحارس : (يلاحظ اقتراب الأم فيبتعد قليلاً) وتحتفلان دوني؟!
أنتظرُ بلهفة أيّ حفلة تُقام لكي أنال منها زجاجة خمر؛
تسويني عذابات العالم باللهم مع الفتيات.

الأم : (تقترب محدقة في ملبسه الممزقة) تلهو! فتيات؟ من أنت يا هذا؟

الجندي : (يشعر بالريبة) ما بكِ سيدتي؟ أنا الجندي.

الأم : (تلتف خلفه) أجب دون إنكار... من أنت؟

الضابط : ما بكِ أمي؟ لقد أخبركِ أنه الجندي.

الجندي : (متفاحراً) آه... ربما تسأل من هذا الذي تُغرم به الفتيات؟

بوجيز العبارة أستطيع أن أقول... (نقاطعه وتكشف عن

رقبته) ما بكِ سيدتي؟

الضابط : (يقترّب من أمه) ما الذي تفعلينه يا أمي؟

الأم : (متداركة الأمر) ملبسه ممزقة... وياقته تظهر بشكل

رديء... كنتُ أضبطها لأن ذلك لا يليق بصديق الفتيات.

الضابط : (ساخراً) هذا سكّير كاذب، وسينال العقاب الذي يستحقه.

الأم : العقاب نفسه الذي ستنزله بالفتيات؟

الجندي : بل ربما أشد قليلاً سيدتي، فأنا جندي ولا أقارن بهن.

الضابط : (يحاول التهجم على الجندي فتصده أمه) ما الذي تنفوه به

أيها السكّير؟ لا تصدقيه أمي، هذا يهذي.

الأم : دون أي اعتراض، عليك أن تدخلي عند الفتيات، أريد

التأكد بنفسني، وإن كان حديث الجندي هذا صحيحاً فلن

تكون ابني بعد اليوم، هيا خذني إليهن.

الرشهد التاسع

(في زنزانة المعتقل، بائعة الهوى تربط قميصها الطويل بقضبان النافذة وتلف الطرف الآخر بربقتها، النساء الثلاثة يحاولن منعها).

بائعة الهوى : قلتُ هذا قراري ولا رجعة فيه... الموت أمام ما أراه هو الخلاص.

المعلمة : إيّاك والرضوخ لإغواء الشيطان، الحياة نحن من نجمّلها في أقسى الظروف.

بائعة الهوى : أعاصير ذباب القذارة أبعدتني كثيرًا عن الخير... لطالما تمنيتُ الفضيلة.

سيدة المجتمع : الفضيلة أنتِ؛ لأنّك ما رضيتِ يومًا بالذي تفعلينه.
بائعة الهوى : كفاكِ إسنادًا لنفسي المتهالكة... أنا لا أستحق الشفقة.

الطبيبة : لستِ ممن يُشفقُ على حالهم... أنتِ حرّة ساقها المجتمع للرديلة.

بائعة الهوى : وإن كنتُ كذلك فأستحق الشفقة، مجرة كنتُ أنا.
المعلمة : الشفقة ليست للأحرار... بل لمن قبلوا على نفوسهم
العار.

سيدة المجتمع : أنتِ حُرّة لا تُبذ... أنتِ إنسانةٌ لها كيان.
بائعة الهوى : ليتني أستطيعُ دثر الماضي لأجل المغفرة... أطلب
العفو أحبتي.

الطبيبة : أطلقي حرية عُنقِك من هذه العقدة اللعينة ودعينا
نتحدث.

المعلمة : توقفي عزيزتي... فأنتِ النبيلةُ فينا.
سيدة المجتمع : للحزن أبيات كثيرة... أرجوكِ لا تجعلينا نشدها.
بائعة الهوى : أعلم ما لا تعلمون... أرجو منكم مسامحتي.
المعلمة : لم نلقَ منكِ إلا طيبة القلب الناصع.
الطبيبة : صبراً يا دُرّة المعتقل، فالفرج آتٍ لا محالة...
سيدة المجتمع : العفو منكِ إن نظرتُ إليكِ بسوءِ طرفة عين.
بائعة الهوى : العفو من عمر ظننتُ نفسي به ناجية ولو بعد حين،
ومن أفعالٍ تعجبت من مقدرةٍ على تجاوز دناءتها،
مشيتُ طريقاً مظلماً منذُ طفولتي، فكيف تريدون
أن أكون أيها الرحماء بأبنائكم؟

(يفتح الجندي باب الزنانة، يتبعه الضابط برفقة أمه، تصرخ الأم عندما تُشاهد بائعة الهوى تريد شئ نفسها، يضحك الجندي كثيرًا للموقف، بينما يحاول الضابط إثناها عن هذا القرار).

الأم : (هلعة) إياك يا ابنتي... إزهاق النفس خطيئةٌ كبيرة لا مبرر لها.

الضابط : سيدتي سنخرجكِ وستوهبين حريتكِ قريبًا.
الجندي : (ضاحكًا) يبدو هذا كالمشاهد المصورة التي أشاهدها برفقة أمي في المساء، حتى أن جارتنا وابنتها الجميلة اعتادتوا المشاهدة معنا، متى ستكون نهاية المشهد يا بائعة الهوى؟

الضابط : (لبائعة الهوى) أعدكِ أن ينال هذا السفية أشد العقاب إن مسكِ بسوء.

الأم : (لبائعة الهوى) هذا الضابط ولدي، وإن أساء إليك أقسم...

بائعة الهوى : (مقاطعة للأم) لا سيدتي لم يفعل ابنكِ شيئاً... وهذا السفية (تشير للجندي) كغيره من أشباه الرجال الذين يغذون نقصهم بالاستقواء علينا.

الجندي : (ضاحكاً) أنا سيّد الرجال يا من تبعين الحبّ المؤقت،
لحظات عمرِك الأخيرة تتناقص تدريجيّاً، فاغتنميها
برؤية وجهي شديد الجمال.

الأم : (للجندي) أمن طينة اللّؤم عُجنت يا لثيم؟ حتى شريعة
الحيوان الضارية بريئة مما تقول... لا عجب أنّك ولدّه.
الضابط : ولدّ لمن يا أمّي؟

الجندي : (ضاحكاً) ربها وليد من غاب ولم يرجع، أو من عاد
وما زال بأفعاله المشرّفة غائباً.. لا تُلقِ بالألّا لأقوال
العجوز الخرفة يا سيدي.. هيا لتناول نخب الموت.

الضابط : (هاجماً على الجندي) كيف تجرؤ على نعت أمي
بالخرفة؟ (يرديه أرضاً).

الأم : دعه ولدي فالخبث يجري في جسده، ومهما فعلت فلن
يتطهر.

الضابط : ليس قبل أن ألّقنه درساً يا أمّي (ينزع عنه قميصه ويقيده
يديه بأكمامه) السجن مأواك أيها السفينة... سنعيد
تربيتك من جديد (تصرخ بائعة الهوى بعد رؤية شيء
ما على ظهر الجندي).

بائعة الهوى : لماذا أيّها القدر تفعل بي كل هذا؟ وداعاً أيّتها الدنيا
(تحاول أن تلقي بنفسها عن الكرسي فتهدب الأم برفقة

الطبيبة والمعلمة وسيدة المجتمع لإنقاذها، بينما يدخل
الجندي بنوبة ضحك وسط غضب الضابط).

الأم : ضعوها هنا وأفسحوا المجال لتستنشق الهواء (تبتعد
الثلاثة وتفك الأم عقدة القميص عن رقبة بائعة
الهوى فترى شيئاً أسفلَ رقبته فتصرخ هلعة)
أفيقي حاضنة الصغير... أفيقي يا بنت أبٍ في قلبه
ضرير.

الطبيبة : (تضع إصبعيها على رقبة بائعة الهوى) لا تخافوا...
هي على قيد الحياة.

الضابط : ما الذي تخفينه أمي؟ رأيتِ هذا القبيح (يشير
للجندي) فصرختِ ورأيتِ هذه السيدة (يشير
لبائعة الهوى) فصرختِ... ما السر أمي؟

الجندي : (ضاحكاً) السرّ يكمن في جوفي... في الجعّة التي
أرتشفها صباح مساءً.

المعلمة : يا لوقاحة هذا الجندي! يتحدث بجرأة ليست
مسيوقة أمام سيده.

سيدة المجتمع : في مجتمعنا الكثير من الإعاقات النفسية... ويبدو
أنها تملك هذا الجندي.

(يفكّ الجندي وثاقه ويهجم على المعلمة وسيدة

المجتمع، تحاولان الهرب فيمسكهما من ياقاتهما
ويحدث فيهما شرخاً من الظهر، يقوم الضابط
بضربه ضربة تفقده وعيه، تشاهد الطبيبة والأم شيئاً
ما على ظهر المعلمة وسيدة المجتمع فتصرخان).

الضابط : (لسيدة المجتمع والمعلمة) لا تخافا... هذا مخمورٌ
ولا يدركُ أفعاله (لأمه والطبيبة وهما في حالة
ذهول) صرختما خوفاً وأنتما برفقة ضابط مشهود
له بحسن التصرف في أصعب المواقف التي قد
يتعرض لها المرء!

الطبيبة : (محدقة بالمعلمة وسيدة المجتمع) لم أصرخ خوفاً...
بل ذهولاً مما رأيت.

الأم : رأيتُ سُقيا القدر العجيبة... كيف لهذا أن يحدث؟
الضابط : عن ماذا تتحدثان؟ لم أعد أفهم شيئاً في هذه الزنزانة
الغريبة!

سيدة المجتمع : (للأم والطبيبة) ما بكما تحدقان بنا وكأنكما رأيتما
نفرًا من الجن؟

المعلمة : نظراتكما تبعثُ الريبة في نفسي، ما خطبكما؟

الأم : (للطبيبة) ما الذي دفعك للصراخ؟

الطبيبة : رأيتُ الشيء نفسه الذي كانت أمي تسألني عن
سبب وجوده على جسدي... ولماذا صرختِ
أنتِ؟

الأم : رأيتُ شيئاً على جسديهما هو الموجود نفسه على
جسدك كما قلتِ.

الطبيبة : من أنتِ لتتعجبي مما رأيتِ؟

الضابط : ما الذي يحدث هنا؟ لم أعد أفهم أيّ شيء... ما
الذي أصابكم؟

(تفريق بائعة الهوى ببطء شديد كأنّ الروح نُفثت
فيها من جديد، تنهض وتجلس على الكرسي وسط
ذهول الجميع).

بائعة الهوى : مخاطبةً الطبيبة والمعلمة وسيدة المجتمع) ما شاهدته
الأم عليكم هو كالذي ستشاهدونه الآن (تستدير
فيرى الجميع كلمة تراويل قد وشمّت أسفل رقبتها)
أتمّ تشاهدون تراويل وشمّت أسفل عنقي كما
وشمّت أسفل أعناقكن.

الطبيبة : يا للقدر العجيب! تراويل وشمّت على جسدي أيضاً
(تستدير فيرى الجميع كلمة تراويل).

المعلمة : تراويل عندما كان أبي الشيخ يراها، يقول لي إن من
وشمك قد ظلمك (تستدير فيرى الجميع كلمة
تراويل).

سيدة المجتمع : حتى الذي اغتصبني عندما جردني من ملابسي
تعجب من هذه الكلمة، وقال ما أجمل تراويل
الجميلات العذارى (تستدير فيرى الجميع كلمة
تراويل).

الضابط : (يمشي مذهولاً في الزنزانة) ما سر هذه التراويل
أمي؟ أخبرني يا من تحملن التراويل... من فعل
بأجسادكن ذلك؟

بائعة الهوى : أبونا من فعل ذلك أيها الضابط (حالة من الدهول
تُصيب الجميع).

المعلمة : من أنتِ لتحدثي بلسان الوحدة؟

الطبيبة : ومن هذا الأب الذي ذكرته؟

سيدة المجتمع : لا بد أنك تحت تأثير سكرات الموت الذي كان
سيحرم جسدك الروح.

الأم : (صارخة) الحق ما تقول هذا الفتاة (تشير لبائعة

الهوى) إن أباكم من فعل ذلك، وإنها لأختكم
الكبرى، فلا تحقرُوا نفساً ذاقت الويل.

الضابط : مَنْ أخت مَنْ يا أمي؟ أشعر بدوار في رأسي... وما الذي أدراكِ أنتِ؟ (يكاد يسقط فتهب بائعة الهوى وتسندُه إليها بلهفة).

بائعة الهوى : صغيراً تركتكَ منذ سنوات خلت... (تشمه) ما زالت هي رائحتك... ما زالت ملامحك في ذاكرتي، ما بها الأيام تعذبني؟ (يُبعدُها عنه بشدة).

الضابط : (غاضباً) ما بكِ يا خليعة الليل؟ لستُ ممن يستسلمون لإغوائكِ يا امرأة (تلطمه أمه وتبكي بائعة الهوى).

الأم : إياكِ وقولها يا غبي... هي أختكِ الكبرى... (للسجينات) وأختكم أيضاً.

الطبيبة : ما هذا الجنون الذي يحدث هنا؟ أصبحنا إخوة في لحظات!

سيدة المجتمع : (تجوب الزنانة) أين وضعتم آلات التصوير؟ لا يُعقل أن تكون هذه حقيقة.

المعلمة : من العاقل الذي سيصدّق ما يجري؟ إن صدقنا هذا فحتماً نحن مجانين.

الضابط : أرجوكِ أمي أخبريني أنني في حلمٍ أنا به من الغارقين.

الأم : (صارخة) كلكم إخوة أيها الحمقى... أبوكم
(نساء) كان مختلفاً عقلياً يَشْمُ الإناث بتراتيل
والذكور بكلمة ثورة، مرضه كان مخفياً على الجميع
حتى أمكم لم تعلم به إلا بعد إنجابكم.

المعلمة : رجل اسمه نساء! توذّين أن نصدّق هذه الأضحوكة؟
الأم : رزقت جدّتكم بإناث كثر وكانت أمنيته أن توهب
ذكراً، في ليلة كانت أبواب السماء فيها مفتوحة
أخلصت في الدعاء، طلبت أن ترزق بذكر حتى لو
كان مجنوناً، ونذرت إن وهبت به لتسمّيته ما لم يُسمَّ
به بشر من قبل... جاء أبوكم فأسمته نساء.

سيدة المجتمع : يا لسخافة ما تتفوهين به!
المعلمة : هذا يعني أن حضرة الضابط قد وشّم بكلمة ثورة،
هل هذا صحيح؟

الأم : أجل صحيح... وهو يعلم بذلك... أرهم بني
وشم أسفل عنقك (يكشف الضابط عن أسفل
عنقه فيشاهدون الوشم).

الطبيبة : أيعقل أن يكون هذا؟ ثم ما الذي دفعه لأن يَشِمَّ
الإناث بتراتيل والذكور بثورة؟

الأم : كان عندما تأتيه نوبة الصرع القاسية ينطق بجمل
غريبة، وعند مولدكم أسماكم بها.

الضابط : كيف يكون ذلك أمي؟ أيسمى المرء عند الجنون!

الأم : هذا ما يجب أن تتعلموا منه بُني... فأمامكم ما زال
الكثير، وتستطيعون أن تصلحوا ما أفسده الدهر.

المعلمة : وما الذي كان يهذي به عند نوبة الصرع؟

الأم : كان يصرخ ويقول... تراويل عواطف... ثورة

حب... تراويل عواطف... ثورة حب... تراويل
عواطف... ثورة حب.

الضابط : كيف جئت بكل هذه الحقيقة أمي؟

الأم : أختك هذه (تشير لبائعة الهوى) عندما جلبتك

لي لكي أربّيك أخبرتني بالحقيقة الكاملة، وأنها
قد أبقت كل واحدة من أخواتك هؤلاء في أسرة
رأت فيها الصلاح، دون النظر للعرق والدين،
انظر إليهن... كل واحدة منهن أصبحت ذات
قيمة في المجتمع وحتى أنت بفضل ما فعلته أختك
الكبرى.

(يفيق الجندي من غيبوبته مُتعبًا ومنهكًا والجميع

ينظرون للوشم أسفل عنقه وهم في حالة ذهول
بسبب كلمة ثورة، يخلع الجندي حذاه ويبدأ بعد
أصابع قدمه مرارًا وتكرارًا).

الضابط : علمتُ الآن سبب صراخِكِ أمِّي... علمتِ أنَّ هذا
أخي من الوشم وربِّها ورث من أبي الجنون.
(تصرخ بائعة الهوى، وتضع الكرسي على رأسها،
تجوب أنحاء الزنانة)

بائعة الهوى : هذا ابنُ تلك المرأة التي تزوجها نساء بعد أمِّي،
لقد ورث منه الجنون (تضحك) كُنَّا أربع إناث
وذكر، شُرِّدنا في الشارع، فُرِّقنا على الناس، حُرِّمنا
حب الوالدين، عشتُ بعيدة عن إخوتي، عرفت
شئِي الأجناس (تقوم بحركات غريبة) هربتِ يا
أمِّي منَّا، وهربتِ أبي أيضًا يا من تُسمِّي نساء...
(تركض بسرعة في الزنانة) تراتيل ثورة نساء...
تراتيل ثورة نساء.

الضابط : (يعد أصابع يديه) عددنا أقل من أصابع يدي،
ولو جمعتُ أبي وأمِّي (يضحك) وأمِّي التي ربَّتني
لاكتمل العدد كاملاً.

الطبيبة : (تتحدث بسماحة الفحص كالميكروفون) يا من
تسمعوننا خارج القضبان... نحن عائلة نساء
الجميلة، لم نعرف بعضنا إلا اليوم (تضحك) أين
أبي لأعالجه؟

المعلمة : (تمسك القلم وتخطبه) أمضيت عمري أداعبك
برسائلي التي أكتبها لأسرتي المفقودة... لا تخجل
فأنا كوالدي نساء... أنطق غزلاً بجوالي (تضحك).
سيدة المجتمع : أين طفلي لأرضعه؟ حان وقت الطعام... تعال
صغيري... ملامحك كجدك الذي لم أره... وريث
شرعي أنت له (تضحك).

الجندي : (يخاطب الجميع راقصاً) أهلاً بعائلتي المفقودة،
لطالما رجوت أمي أن تحكي لي حكايات عجيبة،
إلا أن أبي نساء كان يصرّ في كل مرة أن أحضر
معه الأفلام المرعبة (يضحك) هربت أمي عندما
علمت أنها تسكن برفقة مجنونين.

(تصدر موسيقى، يقوم الضابط بالمشير صعوداً
ونزولاً من أعلى للأسفل المسرح، وتقوم بائعة
الهوى بإخراج أحمر الشفاه وتزين كامل وجهها

به، المعلمة تقوم بممارسة الضبط على البقية من خلال إيهاءات الحزم بواسطة القلم ونطقها لكلمة (قف)، سيدة المجتمع تقف في يمين مقدمة المسرح وتخرج من جيبتها ورقة طويلة وتبدأ بالخطابة نحو الجمهور وسط تصاعد الموسيقى، الجندي يقوم بعملية طي قميصه من ثم بعثرته مرارًا وتكرارًا، تقوم الأم بتمشيط شعرها بوجه غريب، تتصاعد الموسيقى تصاعدًا كبيرًا ثم تتوقف فجأة وسط تعميم الإضاءة بشكل متوسط، تدخل الأم وهي ترتدي زي الطيبة، تقف وسط مقدمة المسرح).

إعتام

تمت

عن المؤلف

إياد الريموني (كاتب أردني).

- مخرج وممثل وكاتب مسرحي.

- عضو نقابة الفنانين الأردنيين.

- أخصائي نفسي في دولة الإمارات العربية.

- محاضر في العديد من الدورات النفسية والفنية.

المؤهلات العلميّة

بكالوريوس في الفنون المسرحية / الجامعة الأردنية.

بكالوريوس في علم الانحراف والجريمة / جامعة البلقاء التطبيقية.

بكالوريوس في القانون / جامعة عجلون الوطنية.

بكالوريوس في الإرشاد النفسي والتربوي / جامعة البلقاء التطبيقية.

ماجستير في علم الجريمة / جامعة مؤتة.

ماجستير في علم النفس التربوي / جامعة البلقاء التطبيقية.

ماجستير في الإدارة / جامعة جرش.

الدكتوراة في علم الجريمة / جامعة مؤتة.

المؤلفات الأدبية:

* المسرحيات

- هذيانات شكسبير.
- طيور الأبايل.
- سيل العذارى.
- ديك.
- قطار الباقورة.
- ليلة الأنحوتة.

* القصص

- ريهمار.
- غطرسة المعلم.
- عروس الضاد.
- ألحان الموت.
- دقائق الحرب العجاف.
- وحي.
- أوتار صماء.
- قرص الموت.
- أيام الجنين.
- رؤيا السلام.
- بساط الميراث.

الجوائز

* الجوائز الأدبية:

- جائزة مئويّة الدولة الأردنيّة كأفضل نصّ عن مسرحيّة «طيور الأبايل» في الأردن.
- جائزة أدب الرعب في كتبنا عن قصّة «ريهار» في مصر.
- جائزة ابن النيل الأدبي عن قصّة «ألحان الموت» في مصر.
- جائزة الجياد الدوليّة عن قصّة «عروس الضاد» في الأردن.
- جائزة بني هلال للآداب والثقافة عن قصّة «دقائق الحرب العجاف» في مصر.
- جائزة أدب الطفل عن قصّة «وحي».
- جائزة أدب الطفل الدوليّة لمنتدى الجياد عن قصّة «حياة» في الأردن.
- جائزة الرابطة العربيّة للومضة القصصيّة عن ومضة «مشهد» في الكويت.
- جائزة أفضل تأليف مسرحي مركز أول في مهرجان مسرح بلا إنتاج الدولي عن مسرحية «ليلة الأنحوتة».

*** الجوائز المسرحية:**

- جائزة الإخراج التقديرية في مهرجان صيف الزرقاء للمسرح الدولي عن مسرحية «هديانات شكسبير».
- جائزة أفضل ديكور في مهرجان صيف الزرقاء للمسرح الدولي عن مسرحية «هديانات شكسبير».
- جائزة أفضل سينوغرافيا في مهرجان المسرح الحر الدولي عن مسرحية «هديانات شكسبير».

iyadalrimouni@gmail.com

(00962)779007878

(00962)789007878